إسناد
العلماء ورثة الأنبياء
للدراسات الشرعية

تفسير السلوك الإنساني في ضوء نظرية المعرفة

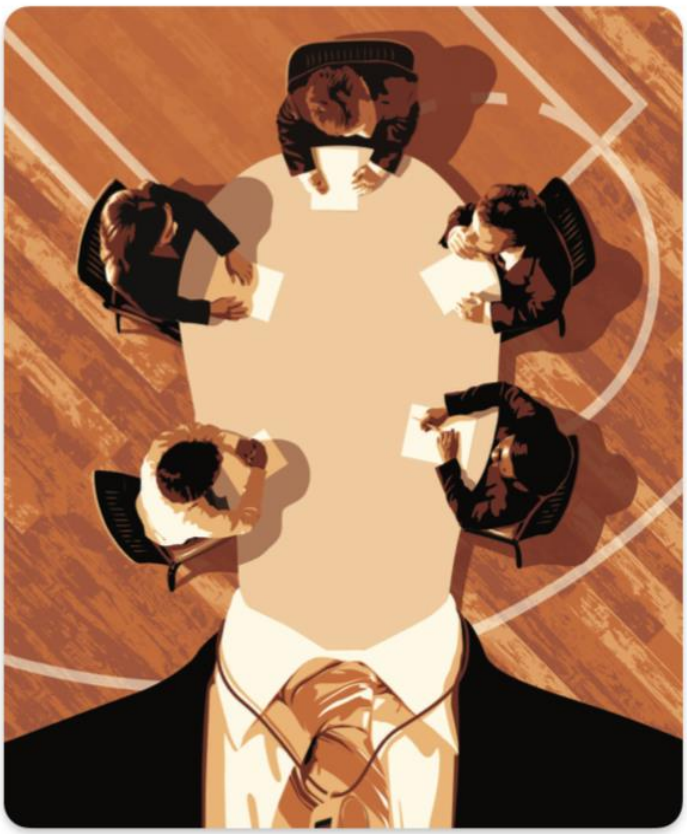

بين الفكر الحداثي والفكر الإسلامي

أ.د وليد شاويش

تفريغ: ولاء أبو مرشد. تدقيق: مروة الفاضل. تنسيق: نغم سعادة.

مبادرة إسناد للدراسات الشرعية

تفسير السلوك الإنساني في ضوء نظرية المعرفة – بين الفكر الحداثي والفكر الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

بادئ ذي بدءٍ؛ يطيب لي أن أشكر سماحة الشيخ الدكتور زيد إبراهيم زيد الكيلاني على عقده هذا المجلس ومبادرته له، وعلى اهتمامه بهذا الموضوع، وقد جمعنا في هذا المجلس المبارك، ونحن ننظر إلى هؤلاء الأخوة، وأنَّهم أهل العلم والفضل، وأنهم سعوا ومشوا خطوات في سبيل الحصول على المعرفة، وكانت خطواتهم في علم.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا المجلس وأجر هذا المجلس وبركاته علينا جميعاً، وعلى بيوتنا، وعلى أهلنا، وعلى إخواننا، وعلى كل من يهمه أمر هذا الدين.

الحقيقة هذا الموضوع الذي تشاورت فيه مع سماحة الشيخ الدكتور زيد، هو موضوع الساعة؛ ألا وهو موضوع "تفسير السلوك الإنساني"، هذا الفعل، هذا الإنسان يفعل الطاعة، وهذا الإنسان يفعل المعصية، هذا الإنسان يكره، هذا الإنسان يتدين بالإلحاد، هذا الإنسان يتدين بدين باطل، وما إلى ذلك.

فنحن في ضوء البحث عن موضوعٍ إشكالي كبيرٍ جداً يشكل في المعرفة الاجتماعية وعلم النفس حجر زاوية، واضطربت فيه الحداثة اضطراباً كبيراً ما بين

الجبرية والقدرية؛ بمعنى الجبرية والقدرية هي مذاهب فكرية بشرية قديمة وهي قائمة، وهي أيضاً راجعة إلى الخلق الأول، فأول جبري هو إبليس وأول قدري على النقيض هو إبليس كما سنرى.

المقدمة الإشكالية في هذا الموضوع عندما ترى كليات تربية، كليات علم اجتماع، تفسير السلوك الاقتصادي، تفسير الجريمة؛ كل هذا يخضع إلى أدوات في الفهم والتفكير.

لماذا هذا الانسان يقتل زوجته؟ هذا يقتل أباه؟ هذا يتناول المحرمات؟ وما إلى ذلك... فهناك دراسات تحليلية لهذا السلوك، نحن سنقسم التحليل إلى نموذجين:

النموذج الحداثي بكل اختلافاته في تفسير السلوك الإنساني، ونموذج الإسلام في تفسير السلوك الإنساني؛ يعني نحن سنناقش كليات، لن نناقش مسائل جزئية دقيقة في القدر، أو في خلق أفعال العباد، سنناقش كلي حداثي يهجم علينا في الكليات الجامعية والأبحاث وما إلى ذلك.

وعليه نحن في هذه الجلسة سنتحدث عن النموذج الإسلامي المقابل، يعني سنناقش نموذجين؛ نموذج بشري، ونموذج الإسلام، سنضرب الكلي بالكلي؛ لن نناقش جزئيات في ميراث المرأة، أو حقوق الطفل هنا وهناك، سنضع يدنا على المبادئ الأولى، فإذا وضعنا يدنا على المبادئ الأولى بعد ذلك تصبح تفاصيل ترتب على وفق تلك المبادئ، نحن هنا وأنتم هناك، لكن الاندماج هذا المؤدي إلى اللَّبس هو الذي سيقوم أو سيؤدي إلى إشكاليات في التدين عندنا حتى؛ نتيجة هذا التداخل الحداثي المهيمن على التدين.

لذلك سنتكلم في المقدمة الإشكالية في التفسير لسلوك الانسان سأرجع إلى الخلق الأول وهو خلق آدم، وسجود الملائكة، خلق إبليس، الأمر الإلهي بالسجود، بمعنى أنَّنا سنأتي بقصة الخلق الأول كنموذج للتفسير، للبحث في سلوك الإنسان؛ يعني بدل ما أنا أذهب إلى مدرسة أجد الباحث الاجتماعي يناقش سلوك إبني على أساس تأثير الجنس، تأثير الموت، بينما لا أجد شيئًا يتعلق بالإيمان، وأنَّه شخص حافظ للقرآن الكريم مثلاً.

وبالتالي نحن لن نتكلم في قضية خيالية؛ سوف نتكلم في التحليل النفسي الموجود في الدراسات الاجتماعية التي من الممكن أن تكون قد تغولت داخل المناهج التربوية.

إذن هناك قصة الخلق الأول تفسير قصة الخلق الأول في تأثير الطباع يعني إبليس قال: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢ ﴾ (الأعراف:12)، وقال: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١ ﴾ (الإسراء:61)؛ إذن الطبع الذي كان في إبليس بالاعتداد بالذات، هو الذي أدى إلى الاستكبار على الأمر الإلهي، ومن ثَمَّ استكبر على السجود.

آدم عليه السلام أكل من الشجرة كان عنده ميل للطبع بالطعام، لكن استكبار إبليس كان في الجحود؛ جحود الأمر الإلهي، أما آدم عليه السلام فتلقى من ربه كلمات فتاب عليه؛ إذن نحن نعيد تفسير المعصية والجناية على وفق الخلق الأول؛ أنَّ هذا مسلم له باب توبة، لذلك المسلم له توبة. لكن أنا لا أجد في الحداثة توبة، في التحليل النفسي لا أجد التوبة؛ لأنه أصلاً لا توجد معصية، هذه حريته، هذا اختياره، هذا طبعه، هذا يميل إلى هذا، وهذا يميل إلى ذلك.

ومن هنا نحن سنناقش تأثير الجبلة، عندي جبلة الإنسان، يميل بطباعه إلى المرأة كرجل، والمرأة تميل إلى الرجل، الإنسان يميل بطبعه للطعام والشراب، يميل بطبعه إلى الجاه والسلطان، قد يحسد، قد يبغض...

الآن نحن هنا نتكلم عن إما أن تلحق بالمعصية الأولى لآدم، وإما أن تلحق الحداثة بالمعصية الأولى لإبليس في الجحود والاستكبار بسبب الطبع، وإلغاء الأمر الإلهي؛ الغاء التدين، يعني إبليس استكبر على السجود، لكن نحن أمام الحداثة، إلغاء التدين، آدم عليه السلام رجع: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ ﴾ (البقرة:37).

ما هو محل البحث الذي سنناقش فيه السلوك الاختياري للإنسان؟ يعني طاعة معصية، الذهاب إلى العمل، العودة إلى البيت، الذي هو ما يختاره الإنسان، يختار هذه السيارة، يختار هذا البيت، إذن بحثنا في الأمور الاختيارية، أما الأمور التي ليس للإنسان فيها اختيار؛ مثل اخترت أبويك؟ لم تختر أبويك أنت وجدتهما قبلك، أنت لم تختار لون بشرتك، لم تختر أن تكون عربيًا أو تركياً أو فارسياً، إذن هذه ليس لك فيها اختيار، دقات قلبك ليس لك فيها اختيار، موعد الوفاة، مكان الولادة، فصيلة الدم، هذه ليست لك اختيار فيها، هذا خارج محل البحث الذي سنتناوله.

إذن بحثنا في السلوك الاختياري، أمَّا الأمور التي لا اختيار للإنسان فيها فليست محلاً للبحث. أنا سأعرض حوار بسيط والحوار واقعي، هذا واقعي لا يمثل شخصاً بعينه، إنما هو حوار، وإن كنا قد حاورنا فيه؛ لكنه يمثل نموذجًا بين معرفتين مختلفتين.

سؤال مني: كيف يحصل سلوك الإنسان؟ الجواب في علم التربية، وعلم الاجتماع: يحدث نتيجة تفاعل بين البيئة الخارجية، والعوامل الوراثية الجينية، هذا هو التفسير. السؤوال مني: إذن من الذي خلق أفعال العباد؟ إذن لم يعد خالق هناك، إذن البشر يتصرفون ويفعلون، وهذا الإله الذي تتحدثون عنه هو إله متقاعد، أودع قوى، جعل طبائع، ثم بعد ذلك الحركة الأولى للعالم، ثم مضى، إذاً الإله هذا متقاعد، ليس مدبراً في كل لحظة، ليس خالقاً خلقاً مستمراً كما نعتقد.

إذن من خلق فعل الإنسان؟ الجواب أنا دخلت في الدين؛ هناك فرق بين الدين والعلم، ونحن نتحدث في العلم، ولسنا نتحدث في الدين وسؤال الخلق، هذا حوار في جامعاتنا. إذن علم التربية، علم الاجتماع، تفسير السلوك الاقتصادي، تفسير الجريمة؛ أصبح خارج التدين تماماً. إذن أنا سأناقش قصة رجل قتل زوجته قبيل أيام، لن يأتي هناك ورثة أبي حامد الغزالي ليناقشوا هذا السلوك ما الذي حدث، بل سيأتي لجان اجتماعية ستناقش أثر هذه الجريمة على الأولاد الذين قُتلت أمهم أمامهم، ما الذي سيطبق؟

سيطبق نموذج التحليل النفسي، الفرويدي، دوركاين، تحليل الجريمة والجناية على وفق الجين؛ يعني ربما أن يكون هناك جد قاتل في الجد الخامس؛ بمعنى الناس لم يولدوا أصفياء، ولم يولدوا على الفطرة، إنما سلوكهم الإجرامي هو ناتج من الجينات والبيئة، إذن الانسان مكره في تصرفاته هو نتيجة تفاعلات كيماوية، إذن أصبحت الجريمة هي نتيجة تفاعل البيئة مع الجينات.

أمَّا الإنسان؛ أين الاختيار؟ أين المسؤولية؟ أين الإله الخالق؟ إذن الحداثة في هذا الموضوع ستعيد تفسير السلوك الإنساني كما أنه لا يوجد هناك إله.

البحث الاجتماعي لا علاقة له بالتدين كما قلت في الحوار. وبالتالي تفسير الجناية، تفسير السلوك، سيعود إلى الفقر؛ السبب للجريمة الفقر، بينما الفقراء هم أقل جريمة من الأغنياء، ممكن في بيوت أغنياء تحدث فيها الجريمة، فلذلك هذا الرفض؛ أنَّه أن يكون الدين له مجال في البحث والتفسير، أصبح خارج الدائرة. مع أنَّنا نبكي في صلاة التراويح، بينما قضايا كبرى أصبحت غير واردة في التحليل بالنسبة للخلق الإلهي، بالنسبة للدين، بالنسبة للنبوات، بالنسبة للتربية الإسلامية، مع أنَّها والحمد لله يعني لها قدرات كبيرة جداً في الإصلاح، بينما وكِّل الإصلاح إلى هذا النموذج؛ نموذج البحث الاجتماعي، هذا النموذج الذي يريد أن يفسر السلوك على مقتضى الجبرية، أيضاً قد يفسره على مقتضى القدرية؛ أنَّ الإنسان بحسب نفسه يفعل، وبالتالي يكون الإنسان خالقاً لفعل نفسه. رجعنا إلى المذهب القدري، في جميع الأحوال الإله المستقيل، الإله الذي يملك ولا يحكم؛ يعني إله اجرائي، ليس الإله التنفيذي، بل التنفيذ هو للإنسان.

إذن نحن أمام تقرير؛ لما قلت هذا الكلام ماذا نفعل؟ إذن كان ديننا وقصة الخلق الأول ليست محلاً للبحث، ماذا يمكن أن نقول في قوله تعالى:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (محمد:19)، كلية الشريعة ضمن الكليات الإنسانية يقابلها العلمية، يعني أنا أمام إشكال في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ﴾ (العنكبوت:49)، إذن القرآن علم: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ ﴾ (الروم:22).

فإذا كان هؤلاء مع الأسف مُقصين عن مبدأ التحليل فعلى الدنيا السلام وقد خربت الدنيا، لذلك عقب كل جريمة تهز المجتمع لا نجد تفاعلاً من قِبل الأوساط

الدينية أنَّنا مسؤولون عن هذه الجناية، بينما نسمع أخبارًا أن البحث الاجتماعي قد تولى رعاية الأولاد، والتخفيف عنهم، والعلاج النفسي لهم. لكن على أي ضوء؟ ضوء الطبيعة الجبرية! على ضوء المعصية التي بدرت من إبليس! اللي هي الجحود ليتأثر بالطبع الملغي للدين؛ بمعنى لم أجد أي تأثير لدين الولد في وجود التفسير. إن وُجد الدين فلا يكون على أنه علمٌ وحقيقة، إنَّما يكون موجود على أنَّه أفكار، والإنسان قد يتأثر بأفكاره عند التصرف، لكن الدين ليس حقيقة؛ الدين هو عبارة عن السحر الذي يلف هذا العالم. هذا الذي سيفسر عليه السلوك الجُرمي الموجود.

الإنسان والطبيعة؛ يعني التفسير الطبيعي عدم ثبوت الغيب، إذا بحثنا بالطبيعة في المختبر لن نرى ملائكة، ولا جن، ولا شياطين، ولا جنة، ولا نار. إذن بناء على التفسير الطبيعي لا يوجد تكليف شرعي بالغيبيات. إذن قُم بنفي الغيبيات.

بناءً على الذات الإنسانية، وتغول الذات الإنسانية التي كانت، هذا التغول الموجود أصلاً في إبليس، قال: "انا خير منه". وبالتالي لم يعد يثبت لدينا غيبيات، لم يعد يثبت لدينا سلوك مختار للعبد؛ لأنَّ إبليس قال: "انا خير منه"، إذن سبب عدم السجود كان نابعاً من ذات الانسان، التفسير لترك السجود من الطبيعة، إذن المعصية التي هي الكفر كانت نتيجة ثنائية ذات المخلوق؛ الذي هو إبليس والطبيعة. والرفض للتدين الذي هو الأمر الإلهي، وعلى هذا تدور كل التحليلات. رفض التدين التي هي خطوات إبليس الأولى يعني لسنا أمام مبدأ جديد، نحن أمام مذهب قديم، وشيخ المذهب ما زال موجودًا بحيث يغلب جوانب الطبيعة في إقصاء الشريعة، في إقصاء الأمر الإلهي. فهذه الدراسات الاجتماعية تقوم على مبدأ أن التدين ليس علماً. إنما هو حالة من الرأي والرأي الآخر، تدين يؤخذ من البيئة،

الإنسان هو الذي اختلق الإله، وبالتالي سنبعد هذا التدين عن تفسير السلوك الإنساني. وبالتالي نصبح إمَّا أمام جبرية، وإبليس هو شيخ النقيضين: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ﴾ (الأعراف:16)؛ أَنْتَ أغويتني. أنا ليس لي ذنب.

إذن عندما هو أغوى الناس قال: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴾ (إبراهيم:22)، صار قدري في هذه المسألة. أمَّا لمّا هو عصى الله كان ماذا؟ جبرياً! فهو جمع الأمرين: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ ﴾ (الحجر:39)؛ لأزينن لهم ؛ أي أنا لم أجبرهم. إذن هو قدري جبري وهذه لا تجدها إلا فيه؛ أنه شخص قدري جبري، إلا واحد؛ هو شيخ الطريقتين، الجبرية والقدرية.

الآن أصبح السلوك يفسر على أنَّه بناءً على المعرفة، كم عنده معرفة؟ هذا جامعي، هذا أستاذ جامعي، هذا تعليم متدني. العاطفة؛ هذه امرأة عاطفتها أكثر من الرجل، الرجل قد يكون سلوكه عاطفي، الجينات الوراثية البيئة هي السلوك في النهاية نتيجة هذا التفاعل.

الآن الترتيب الشرطي بين المؤثر والاستجابة التي هي تجربة بافلوف، بافلوف طبيب روسي عمل تجربة على الكلاب؛ أنَّ الكلاب يأتي لها بطعام باللحم، مع قرع جرس؛ فتعودت على أن قرع الجرس مع أكل اللحم، فصار يقرع الجرس ولا يقدم اللحم ويسيل اللعاب الكلاب. فارتبط لديهم اللحم بمثير داخلي الذي هو الجرس، بناءً عليه بافلوف في هذه التجربة عداها إلى السلوك الإنساني، وعملنا قياس السلوك الإنساني على سلوك الكلاب، فحصل على جائزة نوبل.

يعني الآن أصبحت تصرفات الكلاب طريقة لتفسير التصرف الإنساني، طبعًا هو متوفى سنة ألف وتسعمئة وستة وثلاثين؛ يعني حديثًا. فتم ربط السلوك بناءً على سلوك الكلاب بالمؤثرات والاستجابة، وإعادة ربط المعاصي بالبيئة والجينات وما إلى ذلك.

قضية البعد المعرفي أيضًا هي موجودة لكن في مذاهب أخرى، التحليل النفسي لفرويد قائم على أساس طبيعة الجنس والخوف من الموت، أي سلوك إمَّا جنس، أو خوف من الموت، أو الإثنين، الإله الخالق، اختيار العبد؛ لا يوجد!. تفسير الاقتتال بالظروف السياسية، التفسير السياسي، حتمية التاريخ، حتمية البيئة، علم الإجرام الحيوي الذي هو دراسة الأساس البيولوجي للسلوك الإجرامي أيضاً يصب في الجبرية؛ بمعنى أنَّ هذا المجرم بناء على شكل الجمجمة، تسطح الجبهة، الطول، العرض، جده كان مجرمًا؛ نحن نفسر الجريمة على أساس هذه الضوابط؛ استبعاد الاعتقاد أن يكون مؤثرا في الجريمة!؛ يعني طالما أن للإنسان أن يعتقد ما شاء حتى لو اعتقد عبادة الفئران!.

فهذه حقوق وبناءً عليه ليس لنا أن نعيد تفسير السلوك بناء على الاعتقاد؛ لأنه إن تبين أن الجريمة بسبب الاعتقاد إذن سنحجر على مذهبنا الفكري في حرية أي اعتقاد مهما كان ذلك الاعتقاد. إذن سنقول أنَّ الاعتقاد هو سبب للجريمة، بينما القرآن الكريم يعتبر اعتقادات الناس وفساد تصوراتهم هو سبب الجريمة؛ يعني اعتقد المشركون شيئًا وجاء النبي _ صلى الله عليه وسلم_ بالهدى، فالاقتتال هو بناءً على تصورات، فلذلك نحن نقول أنَّ القرآن قد صنف الطوائف بحسب المواقف، والمواقف نحن نسميها عقائد. لماذا؟ لأنَّها توجب التوقف؛ قبل أن يعتقد أن يعرف ماذا يعتقد لأنَّ عليه سيكون السلوك.

ولذلك نحن في هذا النموذج نقول إنَّ فساد التصرف بسبب فساد التصور؛ أنا أعمل موظف في شركة أعتقد أنني مظلوم؛ فلذلك أنا أمد يدي على الصندوق، إذن أنا في تصور، أنا موظف حكومة؛ حق أولادي أن يعيشوا كبقية الناس، تمتد يدي بالرشوة. إذن كل تصرف سبقه تصور، والإنسان هنا يكون بسبب فساد التصورات، اعتقاد أنَّ له حق بعد ذلك يقوم بالتصرف. حتى إبليس برر تكبره بقياس؛ إذن عنده فساد في التصور؛ أنَّه إذا كان مخلوقاً من النار، والإنسان مخلوق من الطين؛ إذن النار أفضل من الطين، فهو أصلًا كان عنده تصور وبناءً على التصور هو جحد الأمر الإلهي.

لمَّا نأتي إلى القرآن الكريم وقد صنف البشر على حسب المواقف لأنَّ هذه المواقف هي التي ستؤدي إلى الظلم؛ أنت تعتقد أنَّ لك حق في فلسطين فتأتي باغياً معتدياً وتحتل المقدسات، أنت لا تعتقد أنَّ هذا مسجد هو معظّم كالمسجد الأقصى، لذلك يتصور منه أن يعيث فيه فسادًا وأن يضرب المصلين، إذن هو عنده فساد في التصور، وبالتالي نحن نجد أنَّ فساد الاعتقاد هو سبب الجريمة، وفساد التصرفات.

الآن ما هو النموذج الإسلامي؟ نحن عرضنا نموذج بخطوط عريضة لم نعرض للتفاصيل والنظريات بأسمائها، والأشخاص بشخوصهم وأسمائهم؛ إنَّما عرضنا تصورًا كليًا ينطلق من كفاية العالم، واستغناء للعالم عن الإله، وبناءً عليه سنعيد تفسير كل شيء بناءً على ذلك؛ الذي هو العلل الطبيعية، يحدث زلزال في علة طبيعية. والإله! انتهى قديمًا!. هذه قضية من علم الانفروبولوجيا وفلسفة الأديان. وبالتالي نحن نـقــول:

وَمَنْ يَقُلْ بالطَّبْعِ أَوْ بالعِلَّةِ فَذَاكَ كُفْرٌ عِنْدَّ أَهْلِ المِلَّةِ

وَمَـنْ يَقُلْ بالقُـوَةِ المُودَعَـةِ فَـذَاكَ بِدْعِي فـلاَ تَلْـتَفِتِ

يعني نحن نسند أي خلق في هذا الكون أيًا كان؛ خلق مباشر من الله سبحانه وتعالى بلا شريك، القوة الطبيعية ليست شريكة مع الله في الخلق.

يعني السنوسية لها دور في هذا، يعني لنقل أن هذا الدرس تطبيق للسنوسية على الفكر الحداثي، بمعنى أن السنوسية تتموضع في مواجهة الفكر الحداثي، بحيث القواعد الموجودة في العقائد لها موقع في التحدي الموجود وليست عبارة عن دروس نظرية تاريخية في الماضي.

أولًا **النموذج الإسلامي يقوم على أساس الخلقة التامة لجميع البشر**؛ لا يوجد انحراف في الجينات. ولا يخفى عليكم الحديث الصحيح عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ الذي يرويه أبو هريرة: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء" هل تحسون فيها من جدعاء؛ لا تولد مقطوعة الأُذن، تولد كاملة، ثم قال: يقول أبو هريرة _رضي الله عنه_ فطرة الله التي فطر الناس عليها. إذن الجناية والجريمة ليست وراثية، المجرم أياً كان فأبناؤه يولدون سليمين، سليمين من أنَّ شكل الجمجمة إجرامي، والدراسة على الجمجمة، والدراسة على الأنف، وتقاطيع الوجه؛ هذا من العبث بالنسبة لنا.

ولذلك نحن نقول بناءً على حديث النبي _صلى الله عليه وسلم_ بناءً على قصة الخلق الأول، القضية ليست جينية، ومعصية إبليس لم تكن جينية، علل أنا خير منه؛ لم يسند للجينات، ولم يسند لطبيعة الخلقة، أسند للتصور الذي هو الاعتقاد، والاعتداد بالطباع، ثم رفض الأمر؛ يعني خطوات الشيطان لا تزيد على ثلاث؛ الاعتداد بالطبع، الهوى في مقابلة الأمر نتيجة تصورات فاسدة، إسقاط

الأمر. أي معصية في العالم ستفسر على ضوء هذه الخطوات الثلاث، لماذا لا يصلي الصبح؟ مسلم يحب النوم، طباع؛ لماذا لا تصلي الصبح في الوقت؟ نومي ثقيل! يعني هناك طباع بالمعاصي، وطباع بالكفر.

ما قلناه في النموذج الحداثي هو جحود الدين بالكلية بالطباع ؛ لاحظ جينات، بيئة، طباع، يعني عندما نحن نقول ونردد: وَمَنْ يَقُلْ بالطَّبْعِ أَوْ بالعِلَّةِ ** فَذَاكَ كُفْرٌ عِنْدَّ أَهْلِ المِلَّةِ ما هي خطوة إبليس؟ وكان من الكافرين؛ وعليه الحداثة لم تأتي بجديد، هي لم تأتي إلا بالخطوات الثلاث الأولى لإبليس؛ اعتداد للطبع؛ بيئات، جينات. تفسير الدين، إلغاء الدين تمامًا، مخالفة الشريعة. يعني ما الجديد في هذا! لا يوجد جديد. إذن نحن نقول إنَّ سلوك الإنسان الناتج من اختيار، والإنسان مسؤول عن الاختيار.

القدر يقوم على ثلاثة أركان: سبق علم الله بالأشياء قبل حدوثها، الله خالق أفعال العباد بلا شريك، اختيار الإنسان وأنه مسؤول عن عمله، ثم فسر القدر بما شئت، المهم ألا تصطدم مع أحد هذه المحكمات الثلاثة لا خلاف فيها، وهي:

أولًا: سبق علم الله بالاشياء قبل حدوثها، ليس له علم مستأنف؛ كان جاهلًا ثم علم، إذن سبق علم الله بالأشياء قبل حدوثها.

ثانيًا: الله خالق أفعال العباد؛أن تؤمن بالقدر خيره وشره معاصيه وطاعته، إذن خالق أفعال العباد.

ثالثًا: الإنسان مسؤول عن عمله، واختار في هذا الكسب.

هذه ثلاثة؛ تَحَدَّث في الإيمان بالقدر بشرط أنْ لا تصطدم مع واحدة منها، فإن أحسنت الكلام ولم تصطدم مع واحدة منها فقد تكلمت في القدر بحق؛ يعني القدرية قالوا علم الله مستأنف، قالوا العباد يخلقون أفعالهم، الجبرية نفوا اختيار العباد، يعني الطوائف تضرب واحدة من الأساسيات الثلاث.

الإرادة: الميل القاطع؛ كيف يفسرون الإرادة؟ أنا أريد أن أبيع، أنا أريد أن أشتري، ما في خلق إلهي، إذن قدرية، قدرية لا يوجد خلق إلهي، بأي قدرة أنا وقعت العقد؟ بقدرتك أنت. والله؟ استقال منذ زمن! العالم يدير نفسه بنفسه على الطيران الآلي.

ما معنى لا حول ولا قوة إلا بالله التي نسبح فيها في كل لحظة؟ لا يوجد خلق للعباد؛ العباد لا يخلقون مع الله، الله لا شريك له في الخلق. لا حول ولا قوة إلا بالله؛ ذكر من أعظم الأذكار، أنك عندما تقوم بالفعل كما تأكل فطورك في الصباح، فطورك في الصباح خلق من الله؛ أنت لم تخلق فطورك، هو كسب لك من الله. ولدك لم تخلقه هو كسب لك، أم أنت تقول تزوجت خلقت الولد! لا مستحيل. كذلك أفعالك خلق لله وكسب لك؛ كطعامك وولدك. فالأمور سهلة ليست بالتعقيد.

لذلك بناءً عليه استحق الإنسان الثواب والعقاب بناءً على الاختيار، بناءً على المسؤولية، بناءً على الإرادة: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ ﴾ (الروم:41)؛ من أعمالكم، إذن نحن عندما نفسر الجريمة بسبب تقصير الدعاة، أو بسبب تقصيرنا نحن، أو بسبب تقصير التربية، أو إلى آخره... يعني سنسند إلى أنفسنا بما كسبت أيديكم، وإذا كانت جبرية؟ استقالة من الإصلاح؛

يقولون جينات، وهي بيئة، وبالتالي نحن ليس لنا دور إلا ترميم الجريمة، وتكفين الميت، والصلاة عليه أربع تكبيرات!. إذن استقالة من الإصلاح، إذن ما الذي يعيننا على الإصلاح؟ أن نتهم إراداتنا وكسبنا وأننا مسؤولون، أمَّا الإسناد إلى الطبيعة ليس بيدي هذا وراثي.

هذا الذي قتل زوجته ألم يكن له أقارب؟ ألم يكن سمع درس جمعة، ألم ألم إلى آخره... ألم يكن بإمكاننا أن نصلح القادم؟ هذا بناءً على النموذج الإسلامي.

أمَّا بناءً على النموذج الشيطاني الجبري؛ أنَّ الإنسان أصبح سن في دولاب، على الجبرية أو القدرية، إذن الله لم يعد، إذن ما لنا ولله على القدرية! يعني على القدرية أنا الذي خلقت، أنا الذي أخلق! إذن ماذا يفعل الاله هنا! ستعزل عن الله، وهناك كنت أسيرًا في الطبيعة، هم حاولوا أنَّ الإنسان يسيطر على الطبيعة، لكن ما لبث أن أصبح مطحوناً للطبيعة، وفي طحن الطبيعة، وأعيد تفسير السلوك الإنساني كسلوك الكلاب؛ فلو جئت إلى هذا الذي أعطي جائزة نوبل قلت لأبي حامد الغزالي: حكّم أبحاث هذا الرجل؛ سيقول لك هذا مدرب سرك، هذا ليس طبيبًا، الذي يجري هذه الأبحاث ويريد أن يطبقها على البشر، هذا ممتاز أن يكون مدرب سرك، أما الجائزة عالمية! وبالتالي بافلوف والمؤثر والاستجابة، وذهبت استجابة، وجاء المؤثر؛ هذه خطوات الطبيعة، وطحن الطبيعة للإنسان.

لذلك حاول الإنسان بدون إله أن يستقل بحكم الطبيعة وإذ بها تضرسه بأنيابها، وتطؤه بمنسم. لا يمكن للإنسان أن يحكم الطبيعة بمعزل عن الإعانة الإلهية؛ فطحنته في نفسها، وفي ذاتها، وأصبح الإنسان عبارة عن ريشة أو خيط معلق، يعني كيف يُشبِّه علماء الكلام والعقيدة بالجبرية، الإنسان خيط معلق، خيط معلق يدور مع الأحداث كما يدور الخاتم مع الإصبع، جبرية أو قدرية.

لذلك نحن سنجد القدرية في هذا الزمان مثل هوسرل، وسارتر، وهايديغر؛ مؤثرون في الفلسفات، ولهم حضور في كليات الآداب، والكليات الإنسانية. نحن لسنا كليات انسانية كعلوم شرعية؛ نحن كلية علمية: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (محمد:19) ، لذلك ليست مباحث إنسانية؛ بمعنى أنَّني آتي برأيي، أنا آتي بالعلم الأول؛ الذي هو الخلق الأول الذي ستفسر على ضوئه العلوم كما بَيَّنا.

لذلك الموضوعية التي هي هيمنة الطبيعة على الفكر الإنساني، وأن الفكر الإنساني أصبح صفحة بيضاء، والطبيعة تكتب فيه ما تشاء.

الآن نحن مثلاً نعاني من إشكالات، لماذا؟ وفي بيئة كبيئة إسلامية، بيئة محافظة، الآن يطرح موضوع عمل قوم لوط ويسمونه المثلية، وهو قوم لوط ليس جديد؛ لماذا تخفف التعبير؟ لا تخفف التعبير نحن صرحاء في التعبير، كيف يحدث هذا؟ هو يحدث نتيجة وجود فلسفات، فلسفة سفسطائية، أنت عندك ثلاثة آلهة؛ أنا ليس عندي إله، هو عنده عدة آلهة، هذا يعبد كذا.

إذن أصبح الفكر عندي وهو ما يعرف عند السفسطائية؛ بالسفسطائية العندية، وهو نوع من السفسطائية، وهو يعني اعذرني واعذرك، هذا عندي وذاك عنده، وكل له ما عنده؛ الفلسفة العندية. أنا لا أؤمن بوجود حقائق حسية ثابتة في الخارج، القلم يبدو منكسرًا في الماء، والنجم الكبير يبدو صغيرًا، والعين تخدعك في السراب وتظنه ماءً؛ لا ثقة بالأحاسيس، ولا ثقة بالعالم الخارجي، أنا ما أُفكر فيه هو الحقيقة، والأمور لدي نسبية.

ها هم السفسطائية إمَّا عندية، أو لا أدرية، أو عنادية؛ هذه اقسامهم. إذن أنا بالنسبة لي لا يوجد فرق بين الذكر والأنثى أُريد أنْ أعمل مساواة، من أين خرج

ذلك؟ من رأسي؛ أنا خير منه، هي نفسها الاعتداد بالذات، الذاتية للإنسان، أنَّ الحقائق تخرج من داخلي ليست نازلة من السماء، أنا خير منه، وبالتالي هذه الفلسفة أنا خير منه هي التي ستولد، أنا بالنسبة لي لا أرى فرقًا بين الرجل والمرأة، كفكر بناء عليه سأسوي بينهما في الخارج، سأقول لك هذا له أعضاء تناسلية مذكرة، هذا له أعضاء تناسلية أُنثوية، قال أنا أصنف هذا بيولوجي، لكنَّني سأفسّره بالسلوك الاجتماعي بشيء جديد اسمه الجندر، صحيح هو عضويًا بيولوجيًا أنثى، لكنَّ سلوكه في الجندار ذكري هذا اختياره، وعلينا أنْ نحترم اختياره، من أين جاء الاختيار؟ ليس من نتيجة بحث تجريبي، إنَّما هو جاء من الشعور الباطن.

وبناءً عليه سأذهب لفرض ما هو في رأيي على الواقع الحسي الخارجي، وينكر وجود الذكورة والأنوثة على أساس أنهما متمايزان؛ إذن لا تمايز، بناءً عليه المساواة في الحقوق والواجبات، هي كهو، وتاء التأنيث زيادة، وأنتم هنا ذكورية و إلى آخره.. هذه الكلمات هي في النهاية فلسفة، وبناءً عليه لا يوجد عندي في الخارج ذكر وأنثى، المرأة تقود نفس قيادة الرجل، نفس أعمال الرجل، وإذا فرقت بين المرأة والرجل في أي مهنة، في أي صنعة فهذا تمييز ضد النساء؛ بناءً عليه أنا سألغي نتيجة فلسفة أنت تدرسها في الفلسفات، وأنا أتحدث فيها في علم الاجتماع، وأتحدث بها في البيولوجيا أيضاً.

يعني إذا كان دارون قابع في كليات البيولوجيا فسيقول لك التطور الدماغي يتطور بناءً على السلوك البشري، فهذا السلوك الجديد هو بناءً على تطور الدماغ، وبالتالي ظل في دائرة الطبيعة في موضوع السلوك البشري.

لذلك نحن نقول أنَّ هذا الواقع الموجود هو نتيجة الارتباك البشري بين الإنسان والطبيعة، هذه الإشكالية؛ الارتباك بين الإنسان والطبيعة. نقول هل الإنسان بنفسه قادر على أن يصوغ ذات الإنسان مع الطبيعة دون تغول الطبيعة على الإنسان؟ أو دون تغول الإنسان على الطبيعة؟ يعني تغول الإنسان مثل إنكار الذكورة والأنوثة في الخارج، الطبيعة أصبحت هي التي تصوغ السلوك الإنساني الجينات وما إلى ذلك؛ أنا أمام تناقضين.

إذن إمَّا أن يتغول الإنسان فألغي الذكور والأنوثة في الخارج نتيجة تغول الذات، وإمَّا أنَّ الطبيعة هي التي اغتالت الذات وأصبح الإنسان نتيجة تصور طبيعي، وهذان هما الفريقان المتصارعان على الساحة، وهذان هما النموذجان اللذان يقتسمان الواقع المعرفي.

النموذج الإسلامي لم يحضر بعد؛ الذي هو نموذج الإله، الذي ينزل كتاب الهداية فيعيد ترتيب العلاقة بين الإنسان والكون والإله، لذلك تلاحظ أنَّ الفلسفات الحديثة بكل ما أوتيت من أبحاث وكتب ضلت ضلالًا مبينًا، لقوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾ (طه:123). إذن هذه بعد الخلق الأول، بعدما أمر الملائكة بالسجود، وقصة الخلق الأول تأتي القضية لأنَّه لا يمكن أن تستقيم العلاقة إلا بهداية إلهية.

إذن الآن رسمنا النموذج الإسلامي الإله، الإنسان، الطبيعة. إعادة أبعاد الإنسان والإله والطبيعة على وفق نموذج الهداية الإسلامي، إذن سنبدأ بالحديث عن النموذج، ليست القضية مجرد مبادئ أو وعظيات؛ بل سيكون هناك حديث في مجال التفاصيل، إذن سنتكلم عن الطبع الإنساني في الشريعة، يعني نحن قلنا أنَّ

الإشكال هو في الطبع، في الغرائز الموجودة، عن عائشة _رضي الله عنها_ تقول عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل). الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقسم فيعدل بين نسائه، ماذا كان يقول: " اللهم إنَّ هذا قسمي فيما تملك"؛ إذن أنا قسمت المال هذا فيما يملكه الله سبحانه وتعالى؛ "فلا تلمني فيما تملك ولا أملك"، إذن الميل الطبيعي أنا لا أملكه، وبالتالي قاعدة عندنا في الأمور الشرعية أنَّ الأمور الجِبِلِيَّةْ خارج دائرة التكليف، الحب والكره من حيث الحب هو، ومن حيث الكره في نفسه؛ هذا خارج دائرة التكليف.

والآن سيأتيك تفاصيل في هذا الموضوع فيما يتعلق بقول أم المؤمنين: "فلا تلمني فيما تملك ولا املك"، هذه الآية الكريمة أمر الله عز وجل بالعدل بين الزوجات، ماذا قال بعد ذلك: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾ (النساء:129) ، إذن أمر بالعدل وقال لا تعدل! كيف يستقيم الجمع؟! قال لك اعدل في القسمة، في المبيت، في النفقة، أمَّا ميل القلب هذا لن تعدله، إذن لا يوجد تعارض.

إذن بين لك أنَّ الميل القلبي غير قابل للقسمة وخارج دائرة التكليف، خارج السيطرة، أنت تحب هذا الطعام، أقول لك لا تحب هذا الطعام! هل تملك أن أنت تقول له يا أخي لماذا تحب الخروج إلى البر؟ هذا ميل طبيعي لا يوجد فيه فلسفة ولا تعليلات؛ إنَّما هو ميل الإنسان.

الكره الطبيعي؛ المرأة تكره أن يتزوج زوجها عليها، هذا كره طبيعي لا تكلف المرأة بإزالته أصلاً؛ لأنَّ هذا أمر جِبِلِي، وإزالة الجبليات تكليف بما لا يطاق.

قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة:216)، وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ (الأنفال:5). كيف كتب عليكم القتال وهو كره لكم؟! إقبال على الموت، شخص حكم بالقصاص تقول له عليك أن تحب إطلاق النار عليك، وأن يقع السيف على رقبتك لأنَّ هذا هو حكم الله عليك، فعليك أن تحب أن تموت! هذا مستحيل.

لذلك في كلام النبي _صلى الله عليه وسلم_ في حديث أبي هريرة مما ذكره _عليه الصلاة والسلام_ قال: "إسباغ الوضوء على المكاره"، يعني تقوم في الليلة الباردة وتتوضأ هذا أمر تكرهه الطبيعة. قال: "وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة"، أنت تريد أن تذهب إلى عملك، وتريد أن تمضي إلى حاجاتك، والإمام عنده توقيت؛ تجد أقم الصلاة لماذا؟ الجبلات تتحرك، فلذلك رغبك في انتظار الصلاة.

إذن الحب الجبلي هذا لا يكلف برفعه، الكره الجبلي؛ ككره المرأة للزوج أن يتزوج عليها؛ الكره الطبيعي هذا لا تكليف فيه، رجل أمه كتابية تقل له عليك أن تبغض المشركين وأمك مشركة! خاله كتابي، وجده كتابي، هل ستجرده من الطبع الإنساني؟ أم المطلوب شيء آخر مختلف كما جاء في الحديث عن النبي _صلى الله عليه وسلم– حديث عبادة: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"؛ إذن هناك تكليف بالمحبة، للقاء، والذي يكره لقاء الله؛ الله يكره لقاءه. أُنظر إلى سؤال أم المؤمنين _رضي الله عنها_ عائشة "إنَّا لنكره الموت "، الطبيعي؛ الذي هو الطبع الإنساني، قال ليس ذاك، ولكنَّ المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه.

تكلمنا أنَّ الحب الطبيعي، والكره الطبيعي؛ ليس داخلًا تحت التكليف بالإزالة أو بالحصول، لكن بما كُلِفَ الإنسان في الآيات الكريمة التي تأمر بالحب لله ورسوله وحب المؤمنين؟ مثلًا نحن نقول أنَّ الإنسان يحب أمه ولو كانت كتابية، وهذا حب جبلي طبيعي، حتى عند المالكية حق المرأة الكتابية بالحضانة لا يسقط؛ لأنَّنا نعتبر أنَّ المسلمة أيًا كانت لن تكون أوفر شفقة من الأم الكتابية على ولدها، فنحن راعينا الجبلة في هذا، وعلى فرض أن الولي ادعى أنَّ هذه الأم تؤثر على الولد؛ فتؤمر بالسكن في حي من الصالحين ليحمى دين الصبي بحيث يأخذ التدين من الصالحين وإن كانت أمه كتابية، وبالتالي نحن في هذا المجال راعينا جبلة الأم في حنينها إلى ولدها، وراعينا جبلة الولد في حنينه إلى أمه، وقدمناه على قضية الإسلام والكفر؛ ليس لأنَّ الإسلام مؤخر، إنَّما أنَّ الإسلام يراعي هذه الجبلة، فهي أصلًا أُمه؛ أي غير متصور أنَّك تنتزع ولد من أمه وتضعه في مكان آخر.

إذن ما المطلوب إذا كُلفنا بالحب؟ أنَّ الشريعة إذا أمرت بالحب، أو نهت عن الكره، فإنَّما تأمر بالأسباب المؤدية إلى الحب، وتنهى عن الأسباب المؤدية إلى الكراهية الممنوعة. ما الأدلة على أنَّ الشريعة أمرت بالأسباب ولم تأمر بالحب نفسه؟ قول النبي _صلى الله عليه وسلم_ في حديث أبي هريرة "تهادوا تحابوا"؛ إذن التهادي سبب لتحصيل الحب، أمَّا أنت فلا تستطيع أن تُحَصِّل الحب، إنَّما تسلك مسلك الأسباب المؤدية، أمَّا قضية المثير والإستجابة هناك على سبيل اللزوم والضرورة! هنا لا؛ على سبيل العادة والخلق الإلهي، والارتباط العادي، هذا أمر مهم في المعرفة الدينية .

يعني نحن أمام مشكلة الحداثة أو العلمنة؛ يعني هناك من يلتفت إلى القضية السياسية، وفصل الدين عن الدولة الأخطر هو الفصل المنهجي المعرفي

الذي نقع فيه، ونتخبط فيه، ونقول به ونحن لا ندري، مثل لماذا حصلت هذه الجريمة؟ الفقر! لماذا حصل ذلك؟ بسبب إعادة تفسير الأحداث تفسيراً طبيعياً دون اختيار الإنسان إلى حد إلغاء الاختيار، وتحكيم الطبيعة على الإنسان، وأنَّ الإنسان أصبح عبارة عن خيط معلق مع هذه الطبيعة.

وكذلك قول النبي _صلى الله عليه وسلم_ "جبلت القلوب على حب من أحسن اليها"؛ إذن هو أمر بالإحسان لتحصل المحبة، الحب الطبيعي لم ينهى عنه الشارع: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾ (القصص:56)، إذن هو يحب عمه أبا طالب مع أنَّه مشرك، ووصفه بأنَّه يحب عمه لم يُنهَ عنه؛ لأنَّ هذا الحب طبيعي. مشرك مثلاً أجرى عملية لمسلم؛ فبالتأكيد المسلم سيحب من أحسن إليه، وبالتالي إذا اصطدم التدين الساذج فسيقول له عليك أن تبغضه في الله، والولد يبغض أمه الكتابية لشركها! أنت وضعت الإنسان في صدام نفسي قد يؤدي إلى الإلحاد لأنَّك تريد أن تقمع الطبيعة وهذا لا سبيل لك إليه، أنت ستقمع الطبيعة التي خُلق الإنسان عليها، هو خلق على حب أمه لأنَّ هناك مطلوبات شرعية، العطف عليها، الرعاية وما إلى ذلك. إذن الغريزة هذه والجبلة مطلوبة؛ لأنَّ لها دور، وبالتالي لا تُلغى أبداً. كذلك لما يتعلق الأمر بقوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ (النحل:53)؛ إذن يريد أن يحببك إليه بتذكيرك بالنعم، ولم يأمرك بتحصيل المحبة مباشرة، إنَّما أمرك بالأسباب المؤدية، والأسباب المؤدية تستطيع أن تأتي بها، وبالتالي إذا أمر بمحبة فهو يأمر بالأسباب المؤدية.

أيضًا الحديث عن ابن عباس "أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة"، لاحظ أنك أُمرت بمحبة الله؛ هل أُمرت بها رأسا؛ بمعنى أنَّك تحصلها؟ هذا ليس في طوق العبد، إنَّما التفكر في النعم يؤدي إلى المحبة، قال: "احبوا الله لما يغذوكم"، يعني لاحظ أن النبي _صلى الله عليه وسلم_ يبين لك جبلات؛ أنَّك ستحب الله عندما تتذكر نعمه عليك؛ قال "وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي"، إذن ربط الأمور بالنعم، وأنَّه إذا أمرك بأمر؛ إذا كان أَمَر بأمر جبلي فإمَّا أن يأمرك بالأسباب المؤدية، وإما أنَّه ينهاك عنها؛ إذا نهى ينهاك عن اللواحق أو يعطيك قرائن على أن هذا مطلوبًا، أو ليس مطلوبًا.

إذن المؤثر والاستجابة؛ لا نستطيع أن نعيد تفسير المؤثر والاستجابة على تهادوا وتحابوا؛ لأنَّ التهادي هو تكليف شرعي إلهي، المؤثر والاستجابة قضية كلاب ولحم وجرس، أين هذا من ذاك؟ أضف إلى ذلك أنَّ خالق الحب هو الله، والأسباب ليست شريكة مع الله في الخلق، هذا هو فهم نظرية النظام والسببية في الكون على وفق العقيدة الإسلامية؛ أنَّ الأسباب لا تخلق، الطعام لا يخلق الشبع؛ خالق الشبع الله، الماء لا يخلق الري؛ خالق الري الله. وبالتالي الإنسان يصبح في حالة تعلق دائم مع الله، أمَّا إذا صار الماء يخلق الري، والطعام يخلق الشبع، وهذا هو الذي يقتل، وهذا هو الذي يحيي؛ إذن إعادة الإله إلى الحالة الحداثية والاستقالة، وهذا كما أكدنا على خطورة الحداثة في مستوى المنهج والمعرفة التي تهيمن، ولا أحد يقف على هذا الثغر؛ هذا ثغر خطير.

إذن قضية المؤثر والاستجابة هي عبارة عن حالة ضرورية تلقائية ونحن ننفي ذلك؛ نحن نقول أنَّ القوانين تعمل، لكن القانون، والسبب، والمسبب؛ خلق إلهي، والارتباط عادي. فنحن لا ننكر القانون، وفي نفس الوقت لا نؤله القانون؛

نحن لم ننكر القانون، نحن نقوم على الجاذبية؛ يعني نحن لن نلقي أحدًا من هنا ونقول والله توقعنا أن الجاذبية لا تعمل، وبالتالي نحن نعمل بالقوانين لكننا لا نعبدها؛ الفلسفة الحداثية تجعل الإنسان عبد للطبيعة، زلزال، فيضان، قهر الطبيعة، غزو الفضاء، قهر الصحراء؛ قضية مبنية على الحتمية، وعلى الغزو، وعلى القهر، بينما في الإسلام تقوم على التسخير، هذا خادم تماماً.

لذلك نحن نقول هنا لا ننكر اختيار العبد كما قلنا في المحكمات الثلاث في القدر؛ سبق العلم الإلهي، الخلق الإلهي لكل شيء، العبد المسؤول، كيف نفسر ذلك؟ نقول الأمور هنا: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (التكوير)، وعليه إثبات مشيئة للعبد، وإثبات مشيئة لله، كيف نفهمها؟ نفهمها بهذه الصورة؛ نقول: "ظلال الأشجار على سطوح الأنهار لا تمنع السفن من التسيار" ؛ يعني لو أنَّ ظل شجرة على نهر، والسفينة ستمر؛ إرادة الله مارة، لكن إرادتك كإنسان وعبد مخلوق هي تناسب وجودك الاعتباري أو وجودك الممكن، ليست إرادة مناطحة لإرادة الله عز وجل، لكن لك إرادة تحاسب عليها، فأثبتنا الاختيار، والمسؤول، والجزاء، وأثبتنا أيضًا الخلق الإلهي، فإرادة الإنسان كظلال الأشجار على سطوح الأنهار؛ لا تحول دون قضاء الله وإرادته، لكنَّها موجودة.

إذن كيف نفهم قول النبي _صلى الله عليه وسلم– "لا تغضب" ؟ يعني الغضب أمر جبلي، وكل الناس يغضبون، ولو أنَّك نهيت عن نفس الغضب من الذي يستطيع ويطيق هذا النهي؟ هذا أمر غير مطلوب؛ أي إذا قلنا أنَّه إذا أمر بجبلي كالحب فإنَّما هو أمر بالأسباب، إذا نهى عن جبلي في هذه الحالة فهو ناه

عن اللواحق؛ ففي الحديث الذي يرويه الإمام مالك في الموطأ الذي جاء ليسأل النبي _صلى الله عليه وسلم_ عن أمر بحيث لا يكثر فيه المسألة فقال له النبي _صلى الله عليه وسلم_ "لا تغضب"، هل نهاه عن نفس الغضب؟ أم عن أمر آخر؟

عن أبي هريرة في حديث آخر أن النبي _صلى الله عليه وسلم– قال: "ليس الشديد بالصرعة"، والصرعة من أسماء الفاعل، مثل همزة ولُمزة وضُحَكة، وزن (فُعَلَة)، هذا يعني اسم الفاعل الذي يهمِز الناس يلمز الناس، الصُرعة الذي يَصرع الناس، أمَّا الذي يُصرَع ويُضحَك منه ويُلمز فهو ضُحْكَة وهُمْزَة ولُمْزَة وصُرْعَة، وعليه الرسول _صلى الله عليه وسلم_ يقول: "ليس الشديد بالصرعة" ماذا عبر؟ قال: "وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" إذن فسر النهي عن الغضب بملك النفس عند الغضب؛ بأنْ لا بتجاوز بالفعل؛ كالضرب، والشتم مما نهى الله عنه، إذن هو ليس ناهيًا عن الغضب، بل نهى عن اللواحق.

ثوران الشهوة في الإنسان بسبب رؤية المرأة المتبرجة؛ أمر بغض البصر حتى لا تثور الشهوة، وأمر بالحجاب حتى لا تثور الشهوة، لكنَّه لم يقل لك لا تثر شهوتك، إنَّما هو أمر بسوابق، وأمر بلواحق؛ لأنَّ الأمور الجبلية ليست في طوق المكلف، وهذا من الإصلاح؛ يعني أمرك بغض البصر لحمايتك من غائلة الشهوة، وأمر بالحجاب حتى لا تثار؛ لأنَّ قضية البصر، ينظر ثم يقول والله أنا لا أشعر بشيء هذا يحتاج إلى علاج، هذا غير طبيعي، أو هي مثل أختي، هذا يحتاج إلى علاج.

وبالتالي ممكن في لحظة ما أن تثور الشهوة، تنفجر، وبالتالي الشريعة لما أقامت هذه الجسور، وهذه الحواجز ليس لكبح أو خنق الغرائز؛ إنما هي لبناء أسوار تحول دون الوصول إلى المنهي عنه وهو المحرم؛ لأنَّ أصلًا هذه الغرائز هي التي

ستبني العالم. إذن لما نهى عن الغضب؛ نهى عن اللواحق. لمَّا أمر بالحب أمر بالسوابق. إذن حيث أمر بجبلي، أو نهى عن جبلي؛ فهو إمَّا آمر بالسوابق، وإما آمر باللواحق؛ علينا أن نفسر كل نصوص الشريعة وفق هذا الكلي، وعليه ستجد أن الشريعة تتعامل مع الطبيعة الإنسانية بتعامل راقي جداً؛ أنَّها لا تقمعه كالأديان التي تريد أن تعذب الجسد.

وعليه نفرق بين الفطرة التي هي التهيؤ لقبول الحق، وبين الغريزة التي هي دوافع للطعام والشراب وما إلى ذلك. فهذه دوافع؛ أي متغولة، مثل سيارة محرك ثمانية سلندر مليئة بالبنزين لكن بدون مقود، لذلك تجد أنَّه شرع الحدود للغرائز، الخمر، الزنا، القصاص لمن يتعدى على النفوس. لأنَّ هذه الغرائز إذا انفلتت ستدمر المجتمع، لذلك حد لها حدود صارمة، لذلك تجد أنَّ الحدود جاءت لتنظيم الغريزة بحيث تصبح بنائية لا هدمية.

أحيانًا تأتي قرائن أنَّه ليس مطالبًا مثل كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾(ال عمران:102)؛ هذا ليس بيدك أن تموت مسلمًا، لأنَّك لا تفعل الموت اصلًا، فهو ليس نهياً عن الموت، بل يفهم منه أديموا الإسلام حتى يأتيكم الموت وأنتم عليه. لذلك هناك طبائع بَيَّن الإسلام أنَّها موجودة في الإنسان مثل: ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ ﴾(الأنبياء:37)، الجبن، الشجاعة؛ يعني هذه الأمور مراعاة للجبلة.

الآن كيف راعت الشريعة الجبلة؟

الشريعة لها قصدان: قصد أول، وقصد ثاني؛ القصد الأول لا حظ للعبد فيه؛ تتوضى في الليلة الباردة ، تقوم وتترك الفراش الدافئ. صلاة الظهر أربع ركعات، كل مقام تعبد ليس معللًا؛ إنَّما قُصد فيه الامتثال، فهذا تكون الشريعة قد راعته بالقصد الأول وهو التعبد، أمَّا الجبلة فقد راعاها الشارع بالقصد الثاني، يعني مفهومنا هنا كيف تعاملت الشريعة مع الجبلة؟ ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ ﴾ (البقرة:198)، تذهب للحج؛ تاج، بيع واشتري، وحقق مكاسب وأرباح.

لما يتكلم عن موضوع الأضحية؛ الأضحية سنة لكنَّك تذبحها لأجل أنْ تأكل، الهدي لأجل أن تأكل، البيع والشراء تحقيق المكاسب والأرباح، وتبني بيت، هذا كله مراعاة للجبلة. لكن باي قصد؟ بالقصد الثاني، القصد الأول مقام التعبد لله، الصلاة لله، لا يجوز لك أن تدخل فيها قصدًا مناقضًا لقصد الله.

الربا حرام؛ هناك قصد للعبد بالربح والاستثمار بالربا لكن الشارع قال: لا يجوز حرام، الآن صار عندي قصدان للعبد؛ قصد أول أن يوافق قصد الله عز وجل في العبادة، والقصد الثاني مراعاة الجبلات؛ كالزواج هي مراعاة للجبلات، حب الإنسان للنسل، حب الانسان للزوجة، بناء البيت للاستقرار، هذا كله القصد الثاني. حب الأوطان. يعني نحن نسمع في بعض الأحيان من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله؛ لكن ماذا إذا قاتلنا من أجل فلسطين أو دفاعًا عن الوطن؟ هذا شرك!. ما حكم الذبح لغير الله؟ شركّ! لكن ماذا إذا ذبحنا للضيف؟ يصبح عندنا ارتباك؛ إذن ذبح للضيف تعظيمًا له، فلا يعقل ذبح للضيف لإهانته! بل ذبح تعظيمًا له، واحترامًا له، فيدخل التدين في ارتباك.

شخص يذهب للصلاة، لكن له قصد أن يراه الناس لتصلح شهادته مثلاً، من أجل أن يجب الغيبة عن نفسه، هل هذا مناقض لقصد الشارع؟ من الذي يناقض الشارع؟ المُرآئي.

ما الرياء؟ أنَّه يصلي ليتوسل بالصلاة للوصول إلى ما في أيدي الناس من الدنيا والجاهه، هذا المُرآئي؛ لا أجر له، حجه رياء، صلاته رياء، هذا مخالف لقصد الشارع. لكن من ذهب لإظهار الشعار، ولإظهار حال المسلمين؛ هذا موافق لقصد الشارع. من ذهب ليجب الغيبة عن نفسه لتصح شهادته هذا موافق لقصد الشارع، من ذبح الأضحية ليأكل منها موافق لقصد الشارع، من ذبح للضيف موافق لقصد الشارع، لكن باعتبار القصد الثاني وليس القصد الأول، والقصد الثاني معتبر.

من قاتل دفاعاً عن عرضه وبيته؛ يعني هل إذا هاجم العدو بيتك يا مسلم ستذهب لاستحضار النية أنَّك لا تريد أنْ تدافع عن زوجتك وأبنائك؟ أم أنَّ الجبلة دافعة لك أن تدفع عن هؤلاء بدون استحضار موضوع النية لله؟ حتى لو لم تستحضر النية لله فأنت تحت قصد الشارع بالابتداء.

مسلم يبيع ويشتري، لكنَّه عندما يبيع ويشتري وينفق على أهله لا يستحضر أنَّه يعمل هذا لله مثلاً، هل يكون مناقضا لقصد الشارع مع هذه الغفلة؟ لا، لا يكون، هذه الغفلة لا تناقض مقصود الشارع، بدليل أحدهم قال له هذا البيع حرام فانتهى. إذن هو تحت قصد الشارع، لذلك الغفلة عن استحضار النية لا تؤدي إلى أنَّ العبد يخرج عن قصد الشارع؛ بدليل أنَّه إذا عرف أنَّ هذا منهي عنه تركه. إذن هو تحت قصد الشارع في الجملة، وهو متعبد بذلك وأن لم يكن يستحضر النية. عندما يملأ السيارة بالوقود، أو عندما ينفق على زوجته فكافٍ أنَّه إذا تبين له النهي انتهى، هذا

يكفي أنَّه تحت قصد الشارع، لكن حتى يثاب لابد من استحضار النية على الجملة للنوال والثواب.

إذن لا بدَّ أن نفرق؛ فلا تقول للمسلم إذا ذهب إلى المسجد، ويحب الصلاة في الصف الأول حتى يصبح له احترام؛ هذا لا يناقض، وليس رياء؛ اظهروا ما كانوا يتركونه من الطاعات؛ بمعنى كان تارك صلاة، بين أنَّه يذهب إلى المسجد، كان تارك زكاة بين أنه يزكي، إذن أظهر أم لا؛ موافق لقصد الشارع في هذا الأمر.

لذلك الحداثة غير قادرة على إصلاح البشرية أبداً، لماذا؟ لأنَّها افقدتهم الإرادة، أفقدتهم الاختيار، أو أنَّها ألغت بالطبيعة مثل القدرية، لذلك هنا الشريعة ترسم توازن بين التكليف، والطبع الإنساني؛ لا هي ألغته ولا هي تركته يسترسل في الفساد كما يشاء، فسلكت معه مسلك العبادة؛ الذي هو الامتثال بالقصد الأول للتهذيب والإصلاح. الآن صار عندي قصد تابع؛ الذي هو مراعاة الجبلة بالقصد الثاني، وقصد أصلي، الأول؛ الذي هو الامتثال لأوامر الله.

الآن الدفاع عن الوطن؛ سيقول لك شخص هذا أمر ديني مشروع، سيظهر آخر ويقول لك هذا شرك بالله لأن الرسول _صلى الله عليه وسلم_ قال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"! تناقض؛ إمَّا أنَّك أمام حداثيين و لادينيين يريدون وطنًا بلا دين، أو مشايخ يريدون دينًا بلا وطن، هذا التناقض سيدمر المجتمع؛ بمعنى أنَّني أقاتل من أجل عرضي ومالي؟ لا يجوز! يجب أن يكون في سبيل الله؛ تعقيد نفسي، كهنوت الدين سيفسد هذا الإنسان. الشريعة قالت نعم لك أن تقاتل عن دينك وعرضك هذا بالقصد الثاني ومعتبر شرعًا بأي قصد؛ بالقصد الثاني. ومعتبر شرعًا أيضًا، لكن احذر أن يكون الثاني متقدماً على الأول، بمعنى يصبح الوطن مقدم على القصد الأول.

يعني إمرأة تطيل قيامها في الليل وتصوم نهارها، قال النبي _صلى الله عليه وسلم_ : هي في النار لانها تؤذي جيرانها، فهي لما كانت تقوم الليل كانت تلبي رغبة داخلية، أشواق روحية، لها مصلحة ذاتية، فوافق الشرع الهوى، فلما نهيت عن إيذاء الجيران واقتحمت؛ فتبين أنَّ عبادتها لموافقة الهوى.

بعض الناس يحب الصيام، ويحب الصلاة، إذا عرضته على الزكاة منع الزكاة؛ هل هو أثناء الصلاة كان موافقاً لقصد الشارع؟ لا؛ لأنَّ الشرع وافق هواه، فأكثر من الصلاة والصيام، فلما ابتلاه الله بالزكاة وإذا به يمنع الزكاة، إذن هو لم يكن تحت أمر الشارع حتى ولو كان يصلي، لذلك قال عن المرأة التي تؤذي جيرانها هي في النار.

لذلك ترى بعض الناس من أعظم الناس نسكًا وعبادة، لكنَّهم في الأموال وحوش كاسرة لا ترحم، هل هو أثناء تلك العبادة كان تحت الشارع؟ لا. هو كانت له رغبة بالصلاة فوجد في هذه الصلاة رغبة. بعض الناس يحب أن يزكي، لكن بالنسبة للصلاة؛ اعفني! هو أحب أن ينفق، لكنه لا يحب يصلى.

لذلك تنوع العبادات؛ صلاة، زكاة، صوم، حج. تنوع المعاملات؛ الذي نجح في الصلاة ممكن أن يرسب في الزكاة، الذي نجح في الزكاة يرسب في الصلاة؛ فهذه الدائرة من الطاعات هي عبارة لتخليص الإنسان من أن تكون الأهواء هي المتبوعة والشرع التابع، لكن في الظاهر يظهر لنا أنَّ الشرع متبوع أمام قضية موجودة، قضية لا تخفى على مسلم.

قضية فلسطين؛ كيف تبحث في القصد التابع والمتبوع، وتحلل الواقع؟ تساقط الأحزاب؟ تساقط الشخصيات؟ تساقط الدول؟ سقوط الرموز الدعاة؟ نجومية الدعوة؟ الآن الفرز الإلهي يريد أن يخرج أصحاب القصد التابع من المتبوع، من الذي كان تابعًا؟ من الذي كان متبوعًا؟

أول شيء قضية فلسطين كانت قومية، قومية تماماً، والدين ليس له علاقة، والكل يسحج ويصفق لذلك إلا قليلًا منهم، سقط الأقصى، فشلت الطروح القومية، اتجه الناس إلى الدين؛ لكن هل اتجاههم إلى الدين كان الدين، وقصد الشارع هو السابق والمتبوع ؟ وفلسطين تابع؟ هل الشرع في هذا الموضوع متبوع وفلسطين تابعة؟ يعني أتينا بالدين كسيارة إسعاف نستعملها للوصول إلى الهدف، بعد أن نحرر فلسطين ترجع حليمة لعادتها القديمة ونصف سيارة الإسعاف؟ هذا هو السؤال. أم نحن مع الله في كل حال، ولن نتنازل عن حقوق الشرع مهما كانت الأسباب، والشرع متقدم على الأوطان؟

إذن الشرع راعى لك فلسطين بالقصد الثاني، وراعى لك حاجاتك، وبيتك، وزواجك، وبيعك، ورهنك وتوثيقاتك؛ راعاها بالقصد الثاني. فهل أنت تريد تحويل القصد الثاني أول، ويصبح الشرع تابع؟! الآن الاختبار الأول فشلتم كقوميين، الآن صار الاختبار للذين يريدون الإسلام، طرحنا الإسلام من أجل فلسطين!

الآن الاختبارات الموجودة هي لكشف هل فلسطين في أذهان المسلمين، وتحليلاتهم موجودة أصالة، والشرع فرع؟ هل فلسطين بالقصد المتبوع والشرع تابع لها؟ بمعنى يا أخي نداءكم لفلسطين مئة عام، خمسين عام ماذا حصلتم؟ إذن دعونا من التدين، انتهى الاختبار، سقط، لماذا؟! لأنَّ فلسطين صارت عنده بالقصد الأول، والشرع صار بالقصد الثاني.

الآن أنت ستختبر؛ هل أنت في تحليلك ووجودك عندك المسجد الأقصى موجود بالقصد الأول الشرعي، والجبلة، وأنَّك تعود الى أرضك، وتعود إلى عزتك، وإلى مكانتك بالقصد التابع؟ أحيانًا نجد موجودة الوجاهة، والعزة، والكرامة لنا؛ موجودة بالأصالة، والشرع عبارة عن دور وظيفي؛ يعني استخدام الدين كمركبة، استخدام الدين وظيفة، ربنا في الاختبارات القائمة والموجودة هو لفرز وتصفية أصحاب القصد؛ الذي هو فلسطين تابع أم متبوع؟ يجب أنْ تكون فلسطين تابع، والشرع متبوع، فإذا تخليتم عن الشرع من أجل فلسطين؛ فهذا يعني أنَّ فلسطين هي المتبوع والشرع تابع، إذن ما لكم وللنصرة! أنتم لم تنصروا الشرع، لم تنصروا الله، أنتم تريدون مصلحتكم؛ فخذوها من حيث الذي تنتصرون له فلينصركم!.

ولذلك أنت عندما ترى الحالة العامة في العالم الإسلامي؛ تقول والله الداعية فلان تحول، والداعية فلان تغير، سقوط الأحزاب، سقوط الجماعات، لماذا يحدث ذلك؟ هو نفسه الكشف الإلهي. من الذي مع القصد المتبوع؛ الذي هو الشرع، القصد الأول؟ ومين الذي استخدم القصد الأول وظيفة وجعله تابع؟ وجعل فلسطين هي الأصل؟! هنا البحث.

لذلك هذا التحليل موجود بالقرآن مع قوم بني اسرائيل: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ ﴾ (االبقرة:246)، نفس القضية، ثمَّ ابتلاهم ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ ﴾ (االبقرة:246)؛ مصالحهم هي القصد الأول، والشرع القصد الثاني.

هناك ناس نجحوا في الاختبار؛ إذن على الاختبار الذي يليه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ ﴾ (البقرة:247)، ظهرت الامراض، إذن تبين أنَّ الأصل عندهم القصد الأول؛ الذهب، والفضة، والزعامات، والرئاسات، والوجاهات؛ خرجوا من هذا الاختبار؛ هناك اختبار آخر: ﴿ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ (البقرة:248)؛ بعث الله لهم التابوت وفيه سكينة من ربهم، وأيضًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ ﴾ (البقرة:249)؛ ابتلاهم بنهر؛ يريد أن يرى القصد التابع من القصد المتبوع؛ يريد أن يرى المقصود أصالة؛ أمر الله الذي هو في الخلق الأول؛ السجود، وهو أيضًا عدم الشرب من النهر إلا قدر غرفة؛ ﴿ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ ﴾ (البقرة:249)؛ فشربوا منه إلا قليلا منهم؛ أي أنتم قدمتم طبائعكم على الشرع وشربتم، التصفية لا زالت مستمرة: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ ﴾ (البقرة:249)؛ فلمَّا برزوا لجالوت ماذا كان قولهم؟ لا طاقة لنا، نكصوا على الأمر، واتبعوا المخاوف، ولم يثقوا بالله سبحانه وتعالى.

النموذج الحداثي؛ أنا سألخص الإنسان والطبيعة؛ الطبيعة طحنت الإنسان في داخلها، لماذا هذا يريد أنْ يتزوج؛ الرجل والرجل؟ يقول انزيمات، هرمونات؛ إعادة تفسير. أين الحرية؟ إذا كان هرمونات لا يوجد حرية، لا يوجد اختيار، هذه قضية هرمونات!.

إذن ليست قضية حرية، لذلك ستجد أنَّ الأنظمة الاجتماعية، والفلسفة الاجتماعية مناقضة للقانون، النظام الاجتماعي جبري، القانون سيعاقب على الجبرية، كيف سيكون ذلك؟! ولذلك الارتباكات الحادثة في نماذجها ارتباكات خطيرة جدًا أفسدت الدنيا، ونحن هنا على ثغر معرفي؛ أي هناك كما أكدت الفصل المنهجي المعرفي الذي تغلغل في عالمنا الإسلامي؛ أخطر من قضية الفصل السياسي، أو فصل الدولة عن الدين، معنى ذلك هذا سيتدخل في تفسير سلوك الولد في المدرسة، سلوك الجنائي، سلوك المجرم، سيدخل في كل المرافق. المجتمع مع الأسف الشديد وهو جبرية مرتبكة ومفسدة أيضًا.

لذلك نحن نتطلع إلى إحياء نموذجنا المعرفي على ضوء هذا النموذج الإلهي الهادي إلى سواء السبيل، الإنسان المخلوق الذي يستقبل الوحي برسالة، ويعيد ترتيب حياة الإنسان في الاختيار، والجبلة، والفطرة، وقدرة الانسان، والخلق الإلهي، والأمر، والنهي الإلهي، وفق منظومة صحيحة لا تتجاوز جبلة الإنسان، بحيث نحول الإنسان إلى لوح من الخشب، وتجعل من الإنسان أعزكم الله بهيمة سارحة تعيث فسادًا.

أكتفي بهذا القدر من العرض للنموذج، ونسأل الله سبحانه وتعالى أنْ نكون في إحياء هذا الجانب المعرفي مستمرين على الاستكمال؛ هذه عبارة عن مبادئ أساسية وعبارة عن رسم نموذج، والنموذج له في داخله تفاصيل كبيرة جدًا، ليس هو عبارة عن محاضرة مبادئ؛ بل هو له ما يكمله إن شاء الله تعالى. فأشكر لكم حسن اصغائكم واستماعكم، وأشكر الدكتور زيد على أنْ جمعنا هذا الجمع المبارك، ونقول له بارك الله فيك، وأحسن إليك أن جمعتنا بهذه الوجوه الطيبة؛ نتذكر أمرًا شرعيًا ربما هو ثغر لا يقف عنده احد، وثغر متروك وخطير، ومع الأسف له آثار

ستكون مدمرة على الأسرة المسلمة؛ ستكون مدمرة على الزوج ، والزوجة والأولاد. فنحن نريد أن نعيد بنائنا على وفق كلياتنا، وعلى وفق مناهجنا؛ لا تخاطبني في القوامة ما هي، أُخرج أنت حداثي ، حَدِّثني في المقابل، لا تتدخل في تفسير القران، هذا له نموذج كبير جدًا يُفسر على ضوئه القوامة والميراث؛ أنت مالك ومال هذا .

أكتفي بهذا القدر؛ سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

أُعطيت هذه المحاضرة يوم الأحد الموافق:
28 مـايـو 2023م ، 8 ذو القـعـدة 1444هـ.